



لا أدرى لماذا تثور ثائرة البعض عندما يسمع تصريحات تقول إن المطلوب في سوريا تغيير النظام وليس إسقاط الدولة. ما العيب في هذا الطرح؟ ألم يثر السوريون أصلاً ضد النظام الفاشي تحديداً؟ فلماذا لا يكون الهدف الأول والأخير هو تغيير النظام مع الحفاظ بقوة على بنية الدولة السورية حتى لو كانت مرتبطة أو من صنع النظام؟ الأنظمة تذهب، بينما تبقى الدولة ومؤسساتها، وهي ليست ملكاً للنظام، بل للشعب، لأنه دفع من جيده الخاص على بنائها.

لا شك أبداً أن الأنظمة الفاشية الديكتاتورية تصنع الدولة على مقاسها، بحيث ينهار كل شيء بعد سقوط الطواغيت، لكن، لماذا نجاري رغبة الديكتاتور الذي يريد أن يهدم المعبد عليه وعلى الجميع عندما يشعر بخطر السقوط؟ صحيح أن النظام السوري وأمثاله توعد منذ بداية الثورة بأنه هو من بنى سوريا، وأنه إذا سقط سيحرق الدولة التي بناها كونها من صنعه، كما يزعم. لا شك أن معظم الطواغيت عبر التاريخ كانت لديهم هذه النزعة الانتقامية الحقيرة التي تعمل بالمبأ الشهير: «علي وعلى أعدائي»، لكن أليس حرياً بالشعوب أن تقف لهم بالمرصاد؟ أليس من الواجب أن تعمل الشعوب على إسقاط الطغاة، لكن في الوقت نفسه، تحول دون تدمير الدولة؟

أليس أكبر خازوق يمكن أن تقدمه الشعوب الثائرة للطواغيت الساقطين والمتسلطين أن تمنع سقوط الدولة من بعدهم؟ الطاغية يريد الانتقام بحرق الدولة، فلماذا تسهلون له المهمة؟ لماذا لا تسقطونه، وتتركون هيكل الدولة قائمة لبناء الدولة الجديدة؟ ألم يقل الثائر السوفيaticي الشهير فلاديمير لينين ذات يوم إنه مستعد بعد الثورة أن يبني الدولة الجديدة بحجارة الدولة القديمة؟ لا أعتقد أن الثوار العرب أكثر ثوريّة من لينين قائد الثورة البلشفية الشهير. وبالتالي عليهم أن لا يكونوا

ملكيين أكثر من الملك.

لماذا لا ينظر السوريون إلى الدول التي سقطت فيها الدولة؟

هل شاهدوا ماذا حل بالصومال والعراق وليبيا وأفغانستان عندما انتهت الدولة، ولم يعد هناك أي نوع من النظام يحكم البلاد؟ عندما فككت أمريكا الجيش العراقي والمؤسسات الأمنية انتهى العراق كدولة، وتحول إلى ساحة للعصابات الطائفية والمذهبية، أو بالأحرى أصبح يعمّل بالمثل السوري المعروف: «كل مين إيدو إلو». فبدل الجيش العراقي ظهرت الميليشيات الطائفية والمذهبية والعرقية، وراحـت تذبح العراقيين على الهوية، مما جعل البعض يتحسـر على أيام الطغيان الخواлиـ.

وقد سمعنا بعض العراقيين يقول: «كان لدينا صدام حسين واحد، وعدـي واحد، وقصـي واحد، فأصبح لنا الآن بعد سقوط الدولة آلاف الصدامـات والعدـيات والقصـيات.

لقد ضاعت الدولة تماماً، وأصبح العراق مفكـاً. طبعـاً أرجو أن لا يفهم أحد هنا أنـني أدعـو إلى بقاء الطواغـيت لأنـهم يحافظـون على تمـاسـكـ الدولةـ. لاـ وأـلـفـ لاـ. فلاـ نـنسـيـ أنهـ لـولاـ طـغـيـانـ بشـارـ الأـسـدـ وأـمـثالـهـ لماـ أـصـبـحـتـ الـدـوـلـةـ السـوـرـيـةـ وـغـيـرـهـاـ قـاـبـ قـوـسـينـ أوـ أـدـنـىـ مـنـ السـقـوـطـ. الطـغـيـانـ هوـ الذـيـ يـؤـديـ إـلـىـ سـقـوـطـ الدـوـلـ أـلـأـ وـأـخـيـراـ وـلـيـسـ أـيـ شـيءـ آـخـرـ،ـ لـكـنـ السـؤـالـ مـرـةـ ثـانـيـةـ:ـ لـمـاـذاـ نـحـقـقـ لـلـطـغـاءـ أـغـرـاضـهـ الـحـقـيرـ بـإـسـقـاطـ الدـوـلـ عـنـدـمـاـ يـنـفـقـونـ؟ـ

انظروا إلى وضع الصومال الآن بعد حوالي ربع قرن من سقوط الدولة؛ انتهى البلد، ولا يمكن أن تقوم له قائمة أبداً كبلد موحد. والأنكى من ذلك أن الصوماليين استمرؤوا غياب الدولة، وأصبحوا معتادين على نمط جديد من الحياة لا يمت للدولة بصلة. ولو حاولـتـ أنـ تعـيـدـ لـهـمـ الـدـوـلـةـ الـآنـ لـرـبـماـ رـفـضـوـهـاـ.

انظروا أيضاً إلى أفغانستان وليبـياـ. لمـ يـعـدـ هـنـاكـ بـلـدـ اـسـمـهـ أـفـغـانـسـتـانـ إـلـاـ عـلـىـ الـخـارـطـةـ بـسـبـبـ غـيـابـ الـدـوـلـةـ الـواـحـدـةـ الـمـسـيـطـرـةـ عـلـىـ كـامـلـ الـبـلـادـ.

وفي لـيبـياـ نـجـحـ القـذـافـيـ فـيـ إـيـصالـ الـبـلـادـ إـلـىـ مـرـحلـةـ الـلـادـوـلـةـ عـنـدـمـاـ رـبـطـ كـلـ الـمـؤـسـسـاتـ الـعـسـكـرـيـةـ وـالـأـمـنـيـةـ بـشـخـصـهـ،ـ فـانـهـارـتـ بـسـقـوـطـهـ،ـ وـلـمـ يـسـتـطـعـ الـلـيـبـيـوـنـ،ـ أـوـ لـنـقـلـ،ـ لـمـ يـعـمـلـوـاـ عـلـىـ تـرـمـيمـهـاـ كـيـ بـيـنـوـ دـوـلـتـهـمـ الـجـدـيـدـةـ عـلـىـ هـيـاـكـلـهـاـ.

فـلـيـنـظـرـ السـوـرـيـوـنـ الـآنـ إـلـىـ النـمـاـجـ الـفـاشـلـةـ أـمـاـمـهـمـ،ـ وـيـسـارـعـوـاـ إـلـىـ لـمـلـمـةـ أـشـلـاءـ ماـ تـبـقـىـ مـنـ الـدـوـلـةـ.ـ وـهـذـاـ لـاـ يـعـنـيـ أـبـداـ أـنـ يـعـيـدـوـاـ تـأـهـيلـ النـظـامـ الـذـيـ أـوـصـلـ الشـعـبـ وـالـبـلـدـ وـالـدـوـلـةـ إـلـىـ مـرـحلـةـ الـانـهـيـارـ.ـ لـأـبـداـ،ـ فـالـنـظـامـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـعـودـ أـبـداـ،ـ وـهـوـ أـكـثـرـ الـمـسـتـمـتـعـينـ بـحـالـةـ الـفـوضـىـ وـانـهـيـارـ الـدـوـلـةـ الـآنـ.ـ وـهـوـ أـكـثـرـ الـمـسـتـفـيـدـيـنـ مـنـهـاـ.ـ وـهـوـ ضـدـ أـيـ مـحاـوـلـةـ إـلـاعـادـةـ الـحـيـاةـ لـلـبـلـادـ،ـ لـأـنـ أـيـ حـرـكـةـ إـصـلـاحـيـةـ تـعـنيـ سـقـوـطـهـ كـامـلاـ.

وـلـاـ نـنـسـيـ أـنـ النـظـامـ أـصـبـحـ الـآنـ يـتـصـرـفـ كـمـيـلـيشـياـ كـبـقـيـةـ الـمـيـلـيشـيـاتـ الـتـيـ تـتـحـكـمـ بـالـأـرـضـ الـسـوـرـيـةـ.ـ وـهـوـ سـعـيـدـ بـذـلـكـ،ـ فـهـوـ يـعـتـقـدـ أـنـ الـأـفـضـلـ لـهـ أـنـ يـبـقـيـ كـمـيـلـيشـياـ عـلـىـ أـنـ يـزـوـلـ تـاماـ.

مـنـ السـهـلـ جـداـ أـنـ تـحـكـمـ بـلـداـ بـدـونـ رـئـيسـ،ـ عـلـىـ أـنـ تـحـكـمـ بـلـداـ بـلـاـ مـؤـسـسـاتـ وـهـيـكـلـ حـكـومـةـ وـدـوـلـةـ.ـ وـكـلـ مـنـ يـعـمـلـ عـلـىـ تـقـويـضـ الـدـوـلـةـ وـمـؤـسـسـاتـهـاـ فـيـ سـوـرـياـ وـغـيـرـهـاـ،ـ فـإـنـماـ يـحـقـقـ أـهـدـافـ الـطـغـاءـ الـذـيـنـ رـبـطـوـاـ مـصـائـرـهـمـ.

المصادر: